مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ تيموثاوس ٤: ٩–١٥)

يا إخوةُ صادقةٌ هي الكلمةُ وجديرةٌ بكلِّ قَبول* فإنَّا لهذا نتعبُ ونُعيَّر لأنَّا ألقينا رجاءَنا على اللهِ الحيِّ الذي هو مخلِّصُ الناسِ أجمعين ولا سيَّما المؤمنين* فوصِّ بهذا وعلِّم به* لا يستَهِنْ أحدٌ بفتوَّتِكَ بل كُنْ مثالاً للمؤمنينَ في الكلامِ والتصرُّفِ والمحبَّةِ والإيمانِ والعفاف* واظِبْ على القراءةِ إلى حينِ قدومي وعلى الوعظِ والتعليم* ولا تُهمِلِ الموهبَةَ التي فيك التي أُوتيتَها بنبوَّةٍ بوضعِ أيدي الكهنة* تأمَّلْ في ذلك وكُنْ عليه عاكِفاً ليكونَ تقدُّمُكَ ظاهراً في كلِّ شيءٍ.

الإنجيل

(لوقا ١٩: ١–١٠)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ مجتازٌ في أريحا إذا برجُلٍ اسمُه زكّا كان رئيساً

أحد زكا

تأتي حادثة زكا العشار ضمن الأحداث التي يرويها الإنجيلي لوقا في القسم الأخير من إنجيله بعدما أعلن الرب يسوع لتلاميذه «ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتمُّ كلُّ ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان» (لو ١٨: ٣١)، إلى أورشليم حيث سيُصلب المسيح ويموت ويقوم في اليوم الثالث، أي سيتجلّى على انه المسيح المنتظر، ابن الله وكلمته والمساوي له في الجوهر. لكن التلاميذ واليهود، على ما يقول لوقا، «لم يفهموا من ذلك شيئاً وكان هذا الأمر مخفياً عنهم ولم يعلموا ما قيل» (لو ١٨: ٣٤).

إذاً، في صعوده إلى أورشليم لكي يتمجّد ويظهر انه المسيّا، يمر الرب يسوع بمدينة أريحا. هناك على مدخل المدينة يلتقي بأعمى فقير يستعطي ويصرخ «يا يسوع ابن داود ارحمني» (لو ١٨: ٣٨). هذا الأعمى رأى ببصيرته ان يسوع هو المسيح الرب المخلّص في حين ان تلاميذه أصحاب العيون الصحيحة لم يفهموا كلام الرب. لقد كان الأعمى على مدخل أريحا، واليوم نحن في وسط أريحا نحاول رؤية الرب يسوع مع زكا العشار. وكأننا بالإنجيلي لوقا يقول لنا ان لا شيء في مدينة أريحا، المدينة الأرضية المعششة فيها الخطيئة، يمنعنا من التعرّف إلى الرب والإيمان به واتّباعه كما فعل الأعمى وزكا. لقد سار الأعمى وزكا مع يسوع نحو أورشليم، صورة المدينة السماوية، صورة الملكوت. الأول تبع يسوع ومجّد الله والثاني وزع أمواله على الفقراء فنال الخلاص. لهذا وضعت الكنيسة أن نقرأ نص زكا قبل بدء فترة التهيئة للصوم الذي يقودنا إلى القيامة، إلى أورشليم العلوية.

العدد ٢٠١٢/٤

الأحد ٢٢ كانون الثاني

تذكار القديس تيموثاوس الرسول والقديس الشهيد في الأبرار أنسطاسيوس الفارسي

اللحن السابع

إنجيل السَحَر العاشر

شخصية زكا مهمة جداً. فهو عشّار، أي جابٍ للضرائب والأموال، والعشّارون يبغضهم اليهود ويعتبرونهم من أكبر الخطأة. فهو يأخذ المال من اليهودي ليعطيه للروماني الوثني، عدا انه في كثير من الأحيان يأخذ من الناس أكثر مما يتوجب عليهم. هو عميل وسارق، لذا فإن قصة توبته وتحوّله نحو الإيمان مهمة جداً.

عند زكا، كما عند الأعمى قبله، لم يشكّل العامل الجسدي، قصر القامة، عائقاً يمنعه من مشاهدة يسوع.

على العشَّارين وكان غنيًّا* وكان يلتمِسُ أن يرى يسوعَ مَن هو فلم يكن يستطيعُ من الجمع لأنَّه كان قصيرَ القامة* فتقدَّم مسرعاً وصعِدَ إلى جمَّيزةٍ ليَنظُرَهُ لأنَّه كان مُزمِعاً أن يجتازَ بها* فلمَّا انتهى يسوعُ إلى الموضع رفع طَرْفَهُ فرآهُ فقال له يا زكَّا أسرِع انزِلْ فاليومَ ينبغي لي أن أمكُثَ في بيتك* فأسرعَ ونزلَ وقبِلَهُ فرِحاً* فلمَّا رأى الجميعُ ذلك تذمَّروا قائلين إنَّه دخل ليحُلَّ عند رجلٍ خاطئ* فوقف زكَّا وقال ليسوعَ هأنذا يا ربُّ أُعطي المساكينَ نِصْفَ أموالي. وإن كنتُ قد غبَنْتُ أحداً في شيءٍ أرُدُّ أربعةَ أضعافٍ* فقال لهُ يسوعُ اليومَ قد حصلَ الخلاصُ لهذا البيتِ لأنَّه هو أيضاً ابنُ إبرهيم* لأنَّ ابنَ البشر إنَّما أتى ليطلُبَ ويُخلّصَ ما قد هلك.

تأمل

«كُنْ مثالاً للمؤمنين في الكلام والتصرّف والمحبة والإيمان والعفاف» (١ تيمو ٤: ١٢).

إنَّ قوَّة فضيلة القديسين عظيمة حقًّا! فليست حياتُهم فقط مثالاً للكسالى، ولا أقوالهم فقط ترشد صغيري النفوس، ولا صلواتهم فقط تغيّر قصد الله، وإنّما أيضاً

الأعمى سمع الضجة وصار يصرخ «يا يسوع ابن داود ارحمني»، وزكا سمع بمرور الرب فركض نحو الجميزة وصعد عليها «لكي يراه». قصر قامته وخطيئته لم يمنعاه من السعي لرؤية يسوع ولو من باب الحشرية. لقد تغلّب عزمه الصادق ولهفته وإيمانه على كل العوائق. فمَن لديه الرغبة الصادقة لا يستطيع شيء الوقوف في طريقه نحو الرب، نحو أورشليم العلوية.

لقد كان زكا رئيساً للعشارين حسب النص الإنجيلي، أي رئيساً للخطأة. كان قصيراً جسدياً وروحياً، لأن خطيئته كانت تحجب عنه الرؤية، رؤية الرب. كانت أهواؤه وطمعه بالمال وظلمه للناس يمنعونه من أن يرى الرب، وبالتالي لم يفهم معنى الأعمال المسيحية التي يجب أن يعملها. لكن الرب، وكما يقول في سفر الرؤيا، واقف على باب قلب كل واحد منا ويقرع، «إن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي» (روؤ ٣: ٢٠). في لحظة صدق مع نفسه، أدرك زكا ان الرب يريده ويريد خلاصه لذا عندما ناداه الرب «أسرع وانزل لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك. فأسرع ونزل وقبِله فرِحا». استجاب بفرح لدعوة الرب له. كل إنسان مثل زكا، مهما كانت خطاياه كثيرة، لا بد وأن يكون في قلبه زاوية مضيئة، زاوية محبّة يراها الرب فينادي هذا الإنسان من خلالها. لذا يجب أن لا نطفئ الشمعة التي تنير عتمة ليلنا لئلا نبقى في الظلام الكلي.

الرب ينادي كل واحد منا اليوم عبر زكا، لأنَّنا كلنا خطأة مثل زكا، فلكل منا خطيئته التي تجعله أول الخطأة. فهل سيمنعنا كبرياؤنا وتعلقنا بالأمور الدنيوية من النزول إلى الرب يسوع واللحاق به، أم أننا سنبقى على جميزة خطايانا العالية؟ لقد استجاب زكا بفرح لدعوة الرب وهو في طريقه إلى أورشليم لكي يتمجد. أدخله إلى بيته وأعلن انه سيوزع نصف أمواله على الفقراء، وإن غبن أحدهم أو فرض عليه أكثر من المفروض فسوف يرد له أربعة أضعاف. لم يكن قبول زكا للرب استعراضياً. ترجم هذا القبول بأعمال الرحمة والعودة عن أفعاله القديمة والتعويض على كل مَن ظلمه في حياته. هذا يذكرنا بكلام الرب «ليس كل مَن يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (متى ٧: ٢١). كل شيء يبدأ من القلب إلى الخارج. الإناء ينضح بما فيه.

على أبواب الصوم الكبير الذي يقودنا إلى القيامة، إلى الخلاص، يعلّمنا الرب من خلال زكا أن لا نيأس من خلاصنا، ولا نجعل خطايانا تحجب عنا رؤية مانح هذا الخلاص. فمجرد إشارة صغيرة منّا سوف يلاحظها هو وعندها سوف يشرّع أبوابه أمامنا. لا يظن أحد انه هو يفتح أبواب الرب. الرب هو مَن يفتح أبواب رحمته ويقبلنا، فإنه «جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك».

الطقوس الليتورجية الأرثوذكسية

الطقوس، مثل إضاءة الشموع، السجود أمام الله، إشارة الصليب، هي كلّها أعمال محدّدة يقوم بها شعب الله تكراراً على مرّ العصور. إلا

ثيابهم، وأغراضهم الشخصية، وكلّ شيء لامَسَهم يتقدّس ويحمل النَعمة ويبثّ الخشوع في الخليقة. إنّ رداء النبيّ إيليا شقّ مياه الأردن إلى قسمين (٤ مل ٢: ٨)، ونِعالَ الفتية الثلاثة القديسين – حنانيا وعزريا وميصائيل – داست النار في الأتون وأخمدتها (دا ٣: ٢٠–٢٧)، وعصا أليشع جعلت فأساً حديدية تطفو على وجه النهر (٤ مل ٦: ١–٧)، وعصا موسى شقّت البحر الأحمر وأخرجت ماءً من صخرة حوريب (خر ١٤: ١٥–٢٢، ١٧: ٥–٦)، ومناديل بولس طردت الأرواح الشريرة (أع ١٩: ١٢)، وظلّ بطرس عندما كان يسقط على المرضى كان يشفيهم (أع ٥: ١٥–١٦)، ورماد رُفات الشهداء القديسين صنع ويصنع عجائب مدهشة. ماذا يمكن أن أضيف أيضاً لكي أظهر لكم قدرة الفضيلة ولكي أنفخ فيكم الشوق إلى القداسة؟

يقول البعض إنّ «الفضيلة والطهارة تستحقان المديح والإعجاب، لكننا لا نستطيع أن نقتنيهما لأنّ الكثيرين، أقرباء وأصدقاء، يخالفوننا الرأي ويسخرون منا ويدفعوننا إلى الخطيئة». يجب أن نقطع كلّ علاقة

أنه في هذه الأيام، يجد العديد من المسيحيين أنفسَهم غيرَ معنيّين بهذه الحركات الليتورجية، حتى أنهم يعتبرون الليتورجيا مملّةً ولا تحرّك فيهم شيئاً، ويدّعون أن الرتابة التي يجدونها في الخِدَم الليتورجية تجعلهم لا يشاركون في الصلوات كما يجب، وتدفعهم للبحث عن أنماط جديدة من الصلوات تحرّك مشاعرهم أكثر. هل صحيح أن هذه الرتابة كانت ملائمة في عصور سابقة ولا تتلاءم مع عصرنا هذا حيث المتغيّرات سريعة وكثيرة؟ أهميّة الطقوس الليتورجية في حياة المؤمن هي أنها تُتحده بالله، فهي برتابتها تعلّمنا المحبّة الإلهية.

كل إنسان متزوّج منذ سنوات طويلة ويعيش الحب باستمرار مع زوجته، يستطيع أن يؤكد، وبخلاف ما يعتقد كثر من شباب اليوم، أن التغييرات والمفاجآت المثيرة ليست هي التي تؤمّن حبًّا متبادلاً لا يزول. هذه الأمور جيّدة في أوقات معيّنة، ولكنها لا توازي أبداً أهميّة الأفعال اليومية المتوقّعة التي تعبّر عن الحبّ، مثل كلمة «أحبّك»، أو القبلة في الصباح، أو ترتيب الثياب، أو رمي النفايات، أو الإجتماع على المائدة... هذه الأمور الحياتيّة اليومية تشكّل نسيج وجوهر علاقة المحبة. إن ما يجعل الحبَّ حقيقيًّا هو ثباته وانتظامه والقدرة على توقّع ما سيقوم به الآخر، وليس فقط المفاجآت في المناسبات أو خفقات القلب الظرفية. الحبّ الحقيقي لا يتغيّر مع تقلبات الحياة وتغيّراتها.

هذا يصحّ بشكل خاص في علاقتنا مع الله، مع الفارق هنا أن أحد الشريكَين هو الخالق الذي لا نستطيع إدراكه، بينما الشريك الآخر هو الإنسان المائت، الأعمى والجاهل. لو كانت علاقة الله بنا غير ثابتة وفي حالة تغيّر مستمر، لما كنّا نستطيع أن نجاريه. نحن نعلم جيداً أن الله بطبيعته لا يتغيّر أبداً: «يسوع المسيح هو هو، أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣: ٨). وبما أن العبادة يجب أن تعكس موضوعها، فعبادة الله الذي هو محبة لا تستطيع أن تحتوي إلا على أعمال محبّة. على هذا النحو، العبادة التي موضوعها الإله غير المتغيّر، يجب أن تكون بطبيعتها غير متغيّرة. مَن يسعى للإتحاد بالله الثابت في الوجود وغير المتغيّر، عبر أفعال وصلوات عشوائية غير ثابتة (غالباً ما يكون الهدف منها إرضاء المصلّي)، يشبه إنساناً يقف على عربة دائمة الحركة ويحاول معانقة شخص يقف برسوخ على أرض ثابتة!

عبر تاريخ البشرية بأسره، كانت عبادة الإله الأزليّ غير المتغيّر تتم عبر طقوس هو أسّسها. هكذا كان في العهدين القديم والجديد، وهكذا سيكون في الملكوت (رؤ ٤: ٨–١١). لقد أعطى الله شعبه إسرائيل في العهد القديم نمطاً أسرارياً وطقسياً للعبادة. في العهد الجديد لم يعلّم الرب يسوع رسله الصيّادين البسطاء أن يخترعوا طريقةً جديدة للعبادة، جُلَّ ما فعله أنه وضع نفسه في وسط طقوسهم. حتى في سِفر الرؤيا الذي يتنبّأ عما سيحدث في آخر الأزمنة، يتّضح أن الملائكة والبشر سيجتمعون حول عرش الله مقدّمين عبادةً واحدة لله يتوسّطها الخروف أي المسيح (رؤ ٤–٥).

لقد صلّى المسيح إلى أبيه السماوي من أجلنا قائلاً: «ليكون الجميع واحداً كما أنّك أنت أيها الآب

مع أولئك الذين يحرموننا الحياة المسيحية ويحثّوننا على فعل الشرّ. إن استطعنا إصلاحهم من دون أن نتعرّض نحن للأذى، فلنفعل كلّ ما باستطاعتنا، لكن إن بقي أولئك من دون إصلاح كنّا نحن بخطر بسبب تصرّفهم، حينئذٍ يجب أن نبتعد عنهم. عندما كتب الرسول بولس إلى أهل كورنثوس وإلى أهل تسالونيكي، نصحهم بألاّ يخالطوا الناس ذوي السيرة الفاسدة والتصرّف السيئ (١ كور ٥: ٩-١١، ٢ تسا ٣: ١٤). قد يلاحظ أحدهم: «إن فعلنا شيئاً كهذا سنُعثر الأقارب والأصدقاء الذين سنتجنّبهم وسيستنكرون عملنا». ماذا إذاً؟ عندما يوبّخنا أناسُ الله والله نفسه، علينا أن نهتمّ باستهجان الآخرين وانتقاداتهم وتأنيبهم لنا. فضلاً عن ذلك، ليس ممكناً أن يَمدح الجميعُ فاعلَ الخير. كما ترى، فإنّ الشرّ يُبدي دائماً عداوة كبيرة للفضيلة التي عندما تحاربه، لا يؤذيها بل يجعلها أقوى أيضاً. إنّ قوّة الفضيلة عظيمة جدًّا إلى حدّ أنّها عندما تبدو أنّها تنهزم أمام الشرّ إنما هي في الحقيقة تنتصر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

فيّ وأنا فيك» (يو ١٧: ٢١). إن لم يستطِع المؤمنون أن يُتّحدوا قلوبهم في عبادةٍ واحدةٍ لله، وإن أصرّ كلٌّ منهم على اختيار واختراع طقوس تناسبه، فهل سيستطيعون أبداً أن يتّحدوا مع بعضهم؟ وإن لم يستطيعوا أن يتّحدوا مع بعضهم، هل يستطيعون حقاً أن يتّحدوا بالله؟

الكنيسة الأرثوذكسية تتمّم الخِدَم الأسرارية حسبما تسلّمتها ليس لأن الشعب الحسن العبادة يحب أن يعبد الله بهذه الطريقة التي تريحه وتناسبه، بل لأن الأسرار هي الطريق التي كشفها الله وأمر كنيسته أن تتبعها. عندما قال المسيح: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياةٌ فيكم» (يو ٦: ٥٣)، كانت ردّةُ الفعل على هذا الكلام: «فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا ان هذا الكلام صعبٌ. مَن يقدر أن يسمعه» (يو ٦: ٦٠)، و«من هذا الوقت رجع كثيرون إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه» (يو ٦: ٦٦). إذاً لا تتعلّق العبادة بما نحبّه نحن أو نستسهله أو نجده منطقياً، لأن المؤمن مدعو ليعيش كل يوم في ملكوتٍ «ليس من هذا العالم»، وهذا ليس بالأمر السهل. من ناحيةٍ أخرى لم يعطِ المسيح الأسرار المقدّسة لأفراد ليمارسوها أينما وكيفما شاؤوا. هذه الأسرار تتمّ ضمن شركة الكنيسة، لأنها لا تتحد المؤمن فقط بسيّده، بل أيضاً بباقي أعضاء الكنيسة.

كلمة أخيرة إلى شابّاتنا وشبابنا الذين يحبّون الله ويختبرون في هذه الأيام طرقاً مختلفة من الصلوات مع عدّة جماعاتٍ بعيداً عن كنيستهم الأرثوذكسية، ان هذه الأنماط من الصلوات تكون معظم الأحيان مرتجلة وصاخبة لدرجةٍ أنها تحرم الإنسان من سماع صوت الله. تذكّروا أن النبي إيليا اكتشف أن الله يكلّمنا «بصوتٍ منخفض خفيفٍ» (١ ملوك ١٩: ١٢). ما تفعله كنيستنا من خلال طقوسها أنها تُدخل الإنسان إلى هدوء أعماق قلبه، حيث تغيب كلُّ الكلمات البشرية، كلُّ الأحاسيس والأفكار، ويسطع نور ملكوتِ الله.

ذخيرتان

عشية عيد الميلاد ٢٠١١، وبفرح كبير وشكر لله جزيل، حصل دير القديسة كاترينا (زهرة الاحسان) في بيروت على ذخيرة من رفات القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا شفيعة الدير، وعلى ذخيرة من رفات القديسة العظيمة في الشهيدات بربارة، وهما كناية عن جزء من عظمهما. وقد وُضِعَت الذخيرتان للتبرّك في علبة مذهّبة داخل هيكل الكنيسة يشتعل أمامهما قنديل.

أخبار المطرانية

أصبح في الإمكان الإطلاع على أخبار المطرانية يومياً على موقعها الإلكتروني الرسمي المذكور في أسفل الصفحة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb